مقاربة تداولية في التراث الأدبي الجزائري "منامات الوهراني أنموذجاً"

سليم سعدلي
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة برج بوعريريج

ملخص

من الممكن أن نضرب عشرات الأمثلة، قديما وحديثًا، تشير كلها إلى أنّ هناك توجهاً في التراث الأدبي العربي يبدو معاديًا للسّرد القائم على أحداث وهمية. وخير مثال القراءة الرافضة ***لمنامات الوهراني؛*** *كونها تندرج ضمن السّرد السّاخر. ولقد أشار الصفدي في كتابه "الوافي بالوفايات" إلى عدم قراءة هذا النوع من القصص، وقال بأنّ هذا الأدب هو أدب المجون والخلاعة. فهل ترانا سندرس هذا الجنس الأدبي كما كان القدامى يفهمونه أم إننا سنستخلص منه قسماً معيناً يدخل في إطار مفهومنا الجديد للمناهج النقدية المعاصرة، ونُسقِط ما يخرج عنه؟. إنَّ فهم الظاهرة الأدبية لا يكون دون إدراجها في سياقها التاريخي لمعرفة الظروف الحافّة بها، وهي التي توجه في أكثر الأحيان الباحث إلى مواقع الأهمية فيها.*

الكلمات المفاتيح: مقاصد الأخبار السّردية، استنطاق نصوص المنامات، وظيفة حجاجية، مقاصد عقائدية، مقاصد تثقيفية.

Approche pragmatique dans le patrimoine littéraire algérien “Manamat d’El Wahrani”

Résumé

On peut citer plusieurs exemples relevant d’hier et d’aujourd’hui, qui indiquent dans leur totalité une tendance dans le patrimoine littéraire arabe qui semble être contre la narration axée sur des faits illusoires, et la lecture réfutant les ***Manamat d’El Wahrani*** *qui en est le meilleur exemple, vu leur classification dans la narration satirique. Dans son livre 'Alwafi bi Alwafayat',"ASSAFADI" a montré son désintérêt à la lecture de ce genre de nouvelles, en précisant que cette littérature est celle de l’érotisme et de l’exhibitionnisme. Allons-nous donc étudier ce genre littéraire comme le conçoivent les anciens?, où allons-nous extraire une certaine partie relevant de notre nouvelle conception des méthodes critiques contemporaines et nous en passer du reste?.*

Mots-clés: Intentionnalité des informations narratives, lecture des textes d’El Manamat, fonction argumentative, intentions dogmatiques, intentions cultivatrices.

A pragmatic approach in Algerian literary heritage ‘‘Manamat El Wahrani’’

Abstract

It is possible to give many examples from yesterday and tomorrow about an existence of a trend in the Arab literary heritage which seems against the narrative based on illusory facts. The best example here is Manamat El Wahrani; because it falls within the narrative sarcasm. We have pointed out in the book of Al-Safadi entitled 'Alwafi bi Alwafayat' that he discourages the reading of this kind of stories, and says that this literature is literature promiscuity and pornography. Shall we study this genre as it was conceived by ancestors or shall we draw a certain portion of it as a part of the new contemporary methods’ concept and do without the rest?.

Key words: Purposes of the narrative news, reading of texts of El Manamat, argumentative function, ideological purposes, educational purposes.

توطئـة:

عادة ما يبدو التراث العربي الأدبي متباهياً بالشعر بوصفه فن العربية الأول، في حين يصعب أن نلمح مثل هذا التباهي – أو شيئاً منه – بالنسبة لفنون السّرد(narration) على تنوعها، بل إنّ الأمر يصل أحياناً إلى حد معاداة القُصاص، والتعامل بدرجة لا فتة من التحقير مع الإنتاج السّردي (production narrative) الذي يحكي وقائع متخيلة، بوصفها أحد أشكال الكذب بالمعنى الأخلاقي. ويبدو أن مثل هذا التعامل قد شكل ما يشبه العرف، الذي لم يلتفت كثير من الباحثين المحدثين لما فيه من خطورة على الإنتاج السّردي التراثي. يقول أحد الباحثين: وقد نما القصص[G] بسرعة لأنه يتفق مع ميول العامة، وأكثر القُصاص من الكذب، حتى روى أن الإمام علي طردهم من المساجد ولم يستثن منهم غير الحسن البصري لتحريه الصدق في قوله.

من الممكن أن نضرب عشرات الأمثلة – قديما وحديثاً– تشير كلها إلى أنّ هناك توجهاً في التراث الأدبي العربي يبدو معاديًا للسّرد، الذي لا يتكئ على وقائع وأحداث حقيقية، وخير مثال القراءة الرافضة **لمنامات الوهراني**، لكونها تندرج ضمن السّرد السّاخر(récit satirique)، ولقد أشار الصفدي في كتابه "الوافي بالوفيات" إلى عدم قراءة هذا النوع من القصص وقال بأنّ هذا الأدب هو أدب المجون و الخلاعة. فهل ترانا سندرس هذا الجنس الأدبي كما كان القدامى يفهمونه أم إنّنا سنستخلص منه قسماً معيناً يدخل في إطار مفهومنا الجديد للمناهج النقدية المعاصرة، ونسقط ما يخرج عن ذلك؟. ذلك أن فهم الظاهرة الأدبية لا يكون دون إدراجها في سياقها التاريخي لمعرفة الظروف الحافّة بها والتي توجه في أكثر الأحيان الباحث إلى مواقع الأهمية فيها. ومن هنا انبثقت فكرة البحث عن مقاصد الأخبار السّردية في خطاب المنامات (discours al Manama)، ولقد وقع اختيارنا على "**منامات الوهراني**"، التي لم يعن بها النقاد كثيراً، واعتبروها خطاباً هامشياً لا يحمل غاية من ورائه، أو عبثا امتاز به الكاتب في كتاباته، لذلك يمكن التساؤل حول أهمية استنطاق النص التراثي بمنظور حداثي وهل سنجد في ثناياه ما يرفع من قيمة الكاتب الذي اتُهِمَ بالعبث والمجون؟.

مقاصد الأخبار السّردية في المنام الكبير:[G]

إنَّ الكلام حسب جاكبسون(R.Jakobson) " يجب أن يدرس من خلال وظائفه، ولمعرفة هذه الوظائف وجب أن نلقي نظرة وجيزة على العوامل المقومة لكل أداء لساني أو عملية تبليغ لفظية هناك مراسل يرسل خطاباً إلى مخاطب، ولكي يكون هذا الخطاب فعالياً، لا بدَّ أن يكون مُحالاً على سياق(Contexte)، وهذا السياق يجب أن يُدرك من المخاطَب، ويكون إمّا لفظيّاً أو قابلاً للصياغة اللفظية..."[(1)].

ويشكل الإخبار القصد والغرض من التّخاطب بصفة عامة، وهو من الأسس التي يتجسد بواسطتها الفكر وينتقل إلى المتلقي(récepteur)؛ حيث يلتقي مفهوم الإخبار بمفهوم التواصل الذي يتحدّد في النمط الخاص للعلاقة الداخلية بين المتكلّم والمخاطَب وهو إيصال الخبر حسب رأي "ديكرو" (Ducrot) بمعنى تزويد المخاطب بمعارف وأدلة لم يدركها سابقاً، ويقول أيضاً: "على المخاطِب تقديم معلومات لازمة والتي غرضها إفادة المخاطَب"[(2)]. إنَّ الإخبار إذن هو الشّرط الذي يخضع له الكلام والذي هدفه إخبار السّامع(auditeur)، ولا يتم ذلك إلاّ إذا كان هذا الأخير يجهل ما يقال له"[(3)].

ويعرف عبد العزيز عتيق الخبر بـ"أنّه ما يصحّ أن يقال لقائله إنّه صادق فيه أو كاذب فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقاً وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذباً"[(4)]، وقد يلقى الخبر لأحد الغرضين[(5)]:

1- إفادة المخاطَب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة، ويسمى بفائدة الخبر.

2- إفادة المخاطَب أن المتكلّم عالم بالحكم ويسمى ذلك لازم الفائدة.

في الغرض الأول (فائدة الخبر) يلقي المتكلم الخبر إلى المتلقي الذي يكون جاهلاً لحكمه أو مضمونه، ويقصد المتكلم هنا تعريف المتلقي بشيء أو بأشياء كان يجهلها.

أما الغرض الثاني (لازم الفائدة) فيلقي المتكلم يلقي الخبر على المتلقي ويخبره بأمر يعلمه، ولكنَّه يريد أن يصرِّح بأنّه أيضاً على علم به.

إنَّ الخوض في مقاصد "**المنام الكبير**"، "يقتضي إظهار أنماط التَّوافق الضمني بين السّارد وبين المتلقي؛ أي الكشف عن نسق المفضَّلات والأفكار العامة المسلم بها، باعتبارها مواضع مشتركة ومقاصد ضمنية بنى عليها السّارد خطابه للحصول على التَّوافق بينه وبين المتلقي"[6]، لكون مقصدية المؤلف تلجأ إلى الإضمار، لوجود معارف مشتركة بين المستدلين بها، فيعمد النموذج الوصلي إلى التَّصريح بجميع ما تنبني عليه الحجة من هذه المعاني المطوية[7]. على هذا النحو بنيت مشاهد "المنام الكبير" المشار إليها على نسق المفاضلة بين القيم المجسدة في "المنام"؛ فمن الشخصيات من نالت مدحاً من الوهراني، وهو في عرصات يوم القيامة، ومن الشخصيات من نالت وابلاً من السّخرية والاستخفاف. ولما كانت مشاهد "المنام"تتناول أموراً حقيرة تكشف الستار عن المظاهر الزائفة، فإنَّ السَّارد سطر مشاهد المنام بسخرية تجمع بين مختلف المتناقضات التي شكلت خطابا ساخرا يعمل على إبراز مختلف القيم التي تناقض فيها الكثير، فالعبادات التي كانت تمارسها مختلف الشخصيات التي تكلم عنها السّارد، كانت مزيجاً بين الكرم والشرف، والثناء، والفسق، والهجاء اللاذع والاستخفاف؛ أي يعمل الكاتب على إعطاء المتناقضات من أجل توليد المعنى الذي يبحث عنه القارئ.

كما بُنيت "الوظيفة الحجاجية" في بعض مشاهد "**المنام**" على الأفكار والآراء والحكم العامة المسلم بها في سياق الثَّقافة العربية الإسلامية[8]. فقد بنى السارد حكاية خازن جهنم، وهو ينقض عليه وعلى شيخه "الحافظ العليمي في قوله:" **أما ترى خازن جهنم قد خرج من النار مبحلق العينين في يده اليمنى مصطيحة وفي يده الأخرى السلسلة المذكورة في القرآن وهو يدور في الموقف على اللاطة والقوادين من أمة محمد(ص) ونحن متهمون بهذه الخلال الميشومة**"[9]، وما يدعم وجود السلسلة قوله تعالى: ﴿ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ{32} إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ{33}﴾ الحاقة: 32،33.

وهذه حجة ضمنية (argumentimplicite) مسلم بها تقضي بأنَّ عقاب السلسلة ينزل بمرتكب الإثم في الآخرة؛ وهي حجة يسلم بها النَّاس في حياتهم دون أنْ تكون خاضعة لأي برهان عقلي ما دام القرآن الكريم يجسد ذلك.

ومن هذه المسلمات العامة أو الحكم المشتركة الّتي أقام عليها السّارد حجاجه؛ حتى يقنع شيخه بأنَّ العذاب واجب لكون "الحافظ العليمي" كما صوره الوهراني، نسي أفعاله الفاسقة في الدنيا، لهذا يلجأالسارد إلى خلق مشهد تهكمي مفعم بالسّخرية يصور فيه خازن جهنم، وهو يجرد أعمال الحافظ [شيخه] في قوله: "**أليس أنت الذي أدخلت فلاناً الأمرد إلى الخرابة المظلمة ونيمتهُ تحت ضوء الرزونة، فلما لم يطابق الضوء حجره قلت له بتحنين ولطف: يا سيدي قربها إلي من فضلك...ياخنزير...يا مرجوس**"[10]، لذلك نجد الوهراني مرة أخرى يقيم حجاجه بذكره للآية الكريمة: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف: 49. استشهاد الوهراني بالآية الكريمة، ليس سوى حجة صريحة (l'argument explicite) أو حجة السلطة لتدعيم الحكمة الضمنية الّتي

قام عليها الخبر الوارد في النص والفكرة الصريحة التي أوصى بها الوهراني قارئه ومستمعه من خلال عرضه لمشاهد يوم الحشر(يوم الهول). الحجاج في هذا النص.

هبـبواسطة هذه الحجة الظاهرة فقط، لأنَّ "المنام الكبير" في بنيته العامة تمثيل حكائي ومقاصد غير صريحة، وحجة سردية لحكمة ضمنية[11].

إنَّ هذه الطريقة تكشف عن استراتيجية المتكلّم في تعامله مع المتلقي، وكذلك في عملية التَّواصل وتتخلص قصديّة الإخبار في منح المستمع أو المتلقي الخبر المفيد ببراهين وأدلة وبأكبر قدر من المعلومات ويحدد "ديكرو"(Ducrot) ذلك فيقول:" إنَّ المتكلم يجب أن يعطي المعلومات اللازمة التي بحوزته عن موضوع الخطاب، والتي من شأنها أن تنفع الخطاب"[12].

إنَّ السلطة الّتي يتمتع بها المؤلف تشكل حجة في ذاتها "بوصفه الفاعل الرئيس في الخطاب فالقدرة على الإذعان لقواعد اللغة وقيودها أو خرقهاأو التلاعب بها، هي كفاءة تواصلية، وعندما يستعمل المرسل الكفاءة التواصلية (l'efficacité de la communication) ليؤثر في سلوك الآخرين ويحقق المرسل هذه التأثيرات عبر التلاعب واستغلال القواعد والاستثناءات، وبذلك فإنّه يشير في خطابه إلى معنى اجتماعي"[13]، وقد تكون هذه السلطة سلطة ترغيبية مقرونة بفعل صاحبها " فحصول الاقتناع بالخبر السّردي لدى المستمع لا يكون إلاّ بعد مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه باعتباره دليلاً وحجة مادية تنسحب على المتكلم وتزكي موقفه"[14].

كما قد تكون السّلطة ترهيبية " فيسعى المتسلط إلى إجبار المخاطب على فعل شيء أو تركه ولو مكرهاً وهو يعمد إلى تحقيق غرضه، بإصدار أوامر بواسطة ألفاظ وعبارات لغوية تبنى على الاستعلاء المستمد من السلطة المخوّلة له بطريقة مشروعة أو غير مشروعة"[15]. إنَّ السُّلطة الترغيبية يمكن إدراجها في إطار الحجاج بالسلطة أياً كانت نوعية هذه السلطة، دينية سياسية...ذلك أنّها تقرن بين مرتبة الشَّخص السلطوية، وعمله، سعياً للتأثير على المخاطب واستدراجه للتسليم بأمر ما. بينما حجة السلطة الترهيبية قد تكون حجة تزول بزوال المرتبة السلطوية التي يتمتع بها القائم بفعل الترهيب. وفي إطار الحجاج بالسّلطة الّتي يتمتع بها الشَّخص نجد الحجاج بسلطة أمير المؤمنين، والوهراني يعمد إلى استعراض كلام دار بين يزيد وأمير المؤمنين للسّخرية من مصير أبي القاسم الأعور، ويرسم لنا الوهراني هذا المشهد في قوله" **فقال له يزيد: تعرف هذا وأشار إلى أبي القاسم الأعور فقال: نعم يا أمير المؤمنين أعرفه حوْساً، فقال له: وما الحوس؟ فقال: الذي يعمل النحس منه قال: فإنه كان يدعو لنا، ويترضى عن أسلافنا، ويؤذي من يؤذينا فقال: نعم يا أمير المؤمنين، نعم كان يفعل هذا كله للتكسب والمعيشة، ولو أن اليهود جعلوا له على سب النبي [ص] جعلاً، لبادر إلى ذلك مسرعاً، ولم يصده عن ذلك تقي ولا دين فقال: أمير المؤمنين إذا كان الأمر على ذلك فليصفع صفعاً جيداً ويطرد من هذه الجنان**"[16].

يمثل أمير المؤمنين "علي بن أبي طالب" سلطة سياسية ودينية، وتضمر كلمات هذا المقطع معنى غير الإخبار بهذه الحقيقة، قد يكون كراهية الهجاء والاستخفاف من الأنبياء مقابل التكسب الذي كان سائدا في ذلك الوقت. وهو الاحتمال المرجح حسب بقية المنام، الذي يلجأ إلى تقديم حجج كثيرة حول هذا الأمر، وقد بنيت الحجة في هذا النص على استحضار سلطة تفوق سلطة أبي القاسم الأعور، وهي سلطة " **أمير المؤمنين**".

يفضي بنا التحليل السابق إلى اعتبار مقاصد الأخبار–**منام الوهراني**– في بنيتها العامة حججًا وشواهد قصصية لا تكاد السّخرية تفارقها، تعتمد حكاية وأحداثاً ومصيراً تؤول إليه الأمور؛ أي أنَّه يعتمد الخطاب السّردي

السّاخر لتوصيل مقاصده وإحداث أثرها في المتلقي[17]، "لأنَّ الأثر الفني الذي يتركه النص حتى وإن كان مكتملاً ومغلقاً من خلال اكتمال بنيته المضبوطة بدقة هو أثر مفتوح كونه يؤول بطرق مختلفة دون أن تتأثر خصوصيته التي لا يمكن أن تختزل، لأنَّ مفهوم الانفتاح حسب هذا الأخير هو مبدأ الإبداع"[18]. إنَّه – أي المنام– يتفرع إلى حكايات سرديّة تقوم بتمثيل ساخر لمضمون خلقي، أو حكمة مشتركة، أو معنى عقائدي؛ "فإذا كان في بنيته السطحيّة الظاهرة يسرد حكاية، فإنَّه من الواضح يخدم أغراضًا بلاغية، وهذا التداخل بين المقاصد والحجاج والسّرد في هذه النصوص، هو الذي يفرض على التحليل البلاغي المتكامل أن لا ينظر إليه باعتباره سردًا خالصًا، أوخطابًا حجاجياً مستقلاً بل ينظر إليه في صيغته المتداخلة بين التخييل والإقناع، أو بين الخطاب السّردي والخطاب الحجاجي"[19].

إنَّ تصور"باختين" (Bakhtine) لضرورة وجود – أسئلة وأجوبة– في أي نص أو عمل أدبي أدى إلى حضور "المرسل" والمتلقي، ويصرح بأنَّ "الاختلاط الحواري هو الذي يكوّن الجو الحقيقي لحياة اللغة. إنَّ حياة اللغة مفعمة بالعلاقات الحوارية، فالحوار يتيح المجال من أجل أن نملأ بصوتنا الشخصي صوت الإنسان الآخر"[20]. من هنا،" فإنَّ بلاغة هذه النُّصوص السَّردية تتمثل في اعتبارها إجابة عن أسئلة محددة وواضحة لا تحتمل تأويلاً بعيداً؛ إنَّها ماثلة في النُّصوص نفسها أو يمكن افتراضها"[21] وتتمثل أيضاً في بلاغة المراوغة والالتفات، ولا يعتمد المؤلف الأسلوب المباشر، وإنَّما يسعى جاهداً لإخفاء المعنى الحقيقي، ويضمره بمعنى حرفي لا يدل على معنى السّخرية، لأنَّ الإخفاء من السّمات الأساسية التي تتميز بها السّخرية، وبذلك فإنّ السّاخر يضع نفسه بمعزل عن تحمل مسؤولية أقواله السّاخرة.

يمكن أن نميز في المنام الكبير[النص السّردي] بين مقاطع [مشاهد سرديّة] تجيب عن سؤال واحد ومقاطع تجيب عن أكثر من سؤال، وبالنسبة إلى "النَّمط الأول، يقصد به تلك الأخبار الّتي تكتفي بتقديم المعلومة، وتتوجه إلى المتلقي لتّعليمه، أو تثقيفه"[22]، مثلاً نراه يصف ملامح خازن جهنم في قوله: "... **مبحلق العينين، عظيم مهيب، تقشعر من نظره الجلود وتشمئز من طلعته النفوس، مقرف يدور، لكمني لكمة موجعة...**"[23]. في هذا الوصف إضافة للمعلومات الدّينية الّتي يملكها القارئ حول خازن جهنم **[مالك]**[G]. فهو يقدم بعض المعلومات حول "يوم الهول" في قوله: "... **أما تردع؟، أما ترعوي؟ أما ترى السّماوات تنفطر...**"[24] في هذه المقاطع يمثل الوصف المنصب على الدقة والتمثيل جزءاً من السّرد الذي يعمد إلى تحقيق الإمتاع عن طريق الضحك والسّخرية، نجد هذا الأسلوب التثقيفي الذي ينهض عليه السّرد أسلوباً سامياً "لا يمتلك أي وظيفة خارج الحدود المرسومة له، ولا يملك أي معنى أدبي أو رمزي"[25].

والمقصود بالنمط الثاني تلك " الأخبار التي تشكل إجابات عن مجموعة أسئلة ذات مصادر متباينة معرفية وخلقية واجتماعية، وهي مقاطع تفسح المجال للتَّأويل، وتشكل فيها السّخرية سمة بلاغية أو مكوناً تخييلياً على الرغم من احتفاظه بخصائصه الواقعية الطبيعية. إنَّها تجمع بين الإفادة والإمتاع وتمتع وتمنح دروساً خلقية واجتماعية في الآن معا[26]، وذلك بالنظر إلى السَّخرية الأدبية باعتبارها وسيلة اختباريه تشاكس كل صور الجمود والغفلة والنقص والاستبداد، وتستفزها. فالسّخرية طريق للتعبير والتأويل، إنّها تبلغ وتوصل ولكنها تتوجه بالضرورة إلى وسط اجتماعي بدونه لا يبقى معنى لتورياتها"[27].

ولكي نكشف عن سياق الأسئلة التي يفترض أنَّ هذه النصوص شكلت إجابات غير مباشرة عنها سننطلق أولاً من افتراض "محمد مشبال" الذي ينصُّ على أنَّ السَّرد الهزلي(Comic narrative) أو الفكاهي هو إجابة عن نمط

من التساؤل يمكن صياغته على النحو الآتي: كيف ينبغي أنْ أتصرف في الحياة اليومية؟، وماذا يجب أنْ أفعل للنجاح في المجتمع؟[28].

إنَّ الأخبار الهزلية التي يجسدها "**المنام**" تتعلق بهذا النمط من التساؤل؛ فالسَّرد السّاخر في المنام الكبير ليس وسيلة لتعرُّف الذات بقدر ما هو وسيلة لتعرُّف الآخر، حتى نتجنَّب أن نقع في الموقف المضحك الذي وقع فيه[29]. ليست "الأخبار الهزلية" إذن – في أحد وجوهها – سوى إجابة عن سؤال يثيره المتلقي. كيف ينبغي أنْ أتصرف لو أنَّني وضعت في موقف مماثل لمواقف أصدقاء الوهراني وشخصياته الأخرى، أمثال: الحافظ العليمي عبد الواحد بن بدر، وأبي القاسم الأعور،...الخ، وغيرها من الشخصيات الهزلية والخلقية؟.

يعمل الكاتب من خلال نصه هذا على توجيه السّلوك الفردي، لأنَّ السّخرية التي لا تخلو منها الأخبار السّردية في المنام تعمل على تأسيس أخلاق سامية في المجتمع، "منها تطهير الحياة والمجتمع من الظواهر السلبية الّتي تجانب التطور وتناهض الحركة نحو المستقبل، فإذا وقعت على إحدى هذه الظواهر، كالبلادة أو الخمول أو الغفلة أو الفسق والمجون، أو كلّ ما يهدد المجتمع بالتوقف أو البطء، أخذت نفسها ضده وجمعت أسلحتها لتنقض عليه"[30]. ولأجل ذلك كان الهزل الذي تفجره ضرباً من الانفصال عن هذه الشخصيات المضحكة والسّمو عن وضاعتها، ورفض التشبه بها، تواجهنا سخرية الوهراني من الصوفية في قوله: " **فقال (ص) من هؤلاء؟ فقيل له هؤلاء قوم من أمتك، غلبَ العجز عليهم والكسل على طباعهم، فتركوا المعايشَ وانقطعوا إلى المساجد، يأكلون وينامون. فقال فبماذا كانوا ينفعون الناس، ويعينونَ بني آدم، فقيل له: والله ولا بشيء البتّة، ولا كانوا إلا كمثل شجر الخروع في البستان، يشرب الماء ويضيق المكان، فساق ولم يلتفت إليهم**"[31]، إلى محاولة فهم المغزى من هذا الحوار"، بحيث بالحوار نحاول الاقتراب من عتمة اللغة،...واللغة تكتمل مفعوليتها وتتكشف قوتها وطاقتها، وتتجلى حكمتها في بلاغة الحوار"[32]. والحوار الّذي دار بينه وبين الرسول(ص)، يجعل القارئ يفهم مباشرة أنَّ الوهراني لا يورد هذه المقاطع بهدف الضحك والتسلية، وإنَّما ليبيّن لنا مصير هؤلاء النَّاس الّذين اتخذوا من التصوف حجة للنوم والكسل. إن القارئ يتعالى عن المفهوم السطحي للضحك، ليصل إلى أنَّ الضحك وسيلة لممارسة النقد الاجتماعي، بغية القضاء على مثل هذه التصرفات والعادات الّتي لا تجلب إلاّ الخزي والعار للمجتمع. لم يكن هذا الموقف سوى تعبير عن إدانة ضمنية لسلوك مشين وتوجيه المتلقي في اتجاه سلوكي مغاير.

وعلى نحو ما شكّل "المنام الكبير" سياقاً نصياً نشأت فيه السّخرية بشتى مفاهيمها وتحدد فيه سؤالها الاجتماعي والخلقي الذي كشف عنه الوهراني في مقدمة الكتاب عندما قال: "**لما تعذرت مآربي واضطربت مغاربي، ألقيتُ حبلي على غاربي وجعلتُ مذهباتُ الشّعر بضاعتي، ومن أخلاف الأدب رضاعتي. فما مررتُ بأمير إلا حللتُ ساحتهُ واستمطرتُ راحتهُ، ولا وزيراً إلا قرعتُ بابهُ، وطلبتُ ثوابه ولا بقاض إلاّ أخذتُ سيبه وأفرغتُ جيبه فتقلّبت بي الأعصار، وتقاذفت بي الأمصار، حتى قربت من العراق، وسئمتُ من الفراق فقصدتُ مدينة السلام لأقضي حجّة الإسلام. فدخلتها بعد مقاساة الضُّر، ومكابدة العيش المر، فلما قرّ بها قراري وانجلى فيها سراري، طفتها طواف المنتقد وتأملتها تأُمل المنتقد**"[33].

يعدُ كتاب الوهراني الذي "صور فيه بصدق وبعبارة قوية، بعض جوانب الحياة في المجتمع العربي في عصره [عصر الأيوبيين]"[34] أنموذجاً اجتماعياً يطلع من خلاله القارئ على واقع المشرق في العصر الأيوبي ويعتبر

أيضاً سياقاً نصياً نشأت فيه نصوصه السّردية، وتحددت فيه أسئلة متعددة المقاصد، كما يعبر عن مقاصد أخرى تكون مضمنة في ثنايا الخطاب. وعليه، فإنَّ " لصاحب خطاب ما إلى جانب مقاصده التواصلية من كلّ قول ينتجه مقصداً تواصلياً إجمالياً يتعلق بمجموع خطابه" وعليه فلا بد أن نلاحظ أن مقاصد السّارد تتجلى في تثبيت العقيدة وتقديم المعرفة الصحيحة، وتهذيب الأخلاق عن طريق النقد السّاخر وإمتاع القارئ.

وينبغي أن نشير إلى أن هذه الأسئلة لا تحضر جميعها في خبر واحد؛ وإن كانت بعض النصوص تقوم على أكثر من سؤال من هذه الأسئلة، التي تحدد فضاءها البلاغي الحجاجي.

ومجمل القول، إنَّ النظر إلى الخبر الوارد في المنام باعتباره جزءاً من حوار يمثل أجوبة غير مباشرة عن قضايا الجنة والنار، الّتي جعل الوهراني منها مسرحاً لعرض أفكاره؛ يعني اختزال النص وترجمته في رسالة، أو معنى ينتميان إلى الفضاء المشترك بين المرسل والمتلقي. على هذا النحو تتضمن الأخبار السّردية المذكورة في صلبها أسباب تحولها إلى خطاب بلاغي تواصلي؛ أي يمكننا اختزال بنيتها السّردية في توصيل المقاصد[35] التي تؤثر في استعمال اللغة وتأويلها كما تؤثر بدورها في توجيه المرسل إلى اختيار استراتيجية الخطاب.

يتمثل الدور الأساس للمقاصد في بلورة المعنى كما هو عند المرسِل، إذ يتوجب عليه مراعاة كيفية التعبير عن قصده، وانتقاء الاستراتيجية التي تتكفل بنقله مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى[36]. ومنه فوظيفة اللّغة هنا هي تحقيق التفاعل(Interaction) والانسجام(Cohérence) بين عناصر الخطاب بما يخدم السّياق وتتضح المقاصد بمعرفة عناصره سواء كانت تلك المقاصد مباشرة أو ضمنية.

تتفرع عن هذا المبدأ، عدة قواعد أهمها، قاعدة القصد، وهي: "لتتفقد قصدك في كلّ قول تلقي به إلى الغير، ويترتب عن هذه القاعدة أمران أسياسيان: أحداهما، وصل المستوى التبليغي بالمستوى التهذيبي للمخاطبة، والآخر إمكان الخروج عن الدلالة الظاهرة للقول"[37]. ونعني الخروج عن الدّلالة الظاهرة للقول: **المقاصد الكامنة أو الإجمالية للخطاب**. والمتمعن في "المنام الكبير"؛ أو لنقل الأخبار المختلفة التي يحكي فيها الوهراني بسخرية مريرة حال وأحوال مختلف الشخصيات التي عاصرته، والتي وُجدت في العالم الآخر[أي تلك التي وجدها الوهراني هناك] مستعيناً بالنوم الذي تغيب عنه النفس لقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمى، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الزمر: 42، يجد مقاصد عدة حاولنا تجسديها فيما يلي:[G]

أ- بناء الأخلاق في المجتمع:

النَّص السّردي المتمثل في "**المنام الكبير**" حجة يستوعب من خلالها القارئ بعض الظواهر، كظاهرة اقتناء الغلمان، والتظاهر بالأعمال الصالحة، فهو مرآة عاكسة لعصر الوهراني بما يضج به من تيارات عقائدية وفكرية متناقضة، ورؤى دينية متصارعة يصعب علينا أن ننكر أن العالم الآخر في المنام الكبير أشبه بمجلس أنس[38] لكثرة مشاهد المجون والعراك والشجار، ومن بين هذه المشاهد، قول الوهراني، وهو يخرج من قبره ليجد نفسه في يوم المحشر:" **وأبو العز بن الذهبي يغازلني بعينيه ويسقيني الصرف من النعارة حتى يغرق حسي وأغيب عن الوجود فتنقضي عني الشدائد وأنا في غير معقول**"[39]، وكذلك قوله: "**لا تحقروني وتطرحوني، ما أنا إلاّ منحوس كبير صفعتُ أنا لأني علمتُ أنكم شمتم بي وكُنتم لما حل لي من الصفع تفرحون...**"[40]، ويقدم لنا مثالا آخر يصور فيه حواره مع مالك خازن جهنم [مالك] "**ما يخلصكو الله من هؤلاء في هذا اليوم لا شعرك الركيك، ولا رسائلك الباردة، ولا بدّ لك من الاجتماع بأبيك الغسل، في أمك الهاوية، وهو يقول له: خرب بيتك**

أي شيء بيني وبينك هجوتني وهجوتك، وشتمتني وشتمتك، وقد راح هذا بهذا، ونحن من أهل العلم ولا يليق بنا إلاّ المحاللّة بعدو الاستغفار، وأنت في موقف صعب..."[41]. يبقى القارئ هنا حائراً من هذه المواقف التي كثيراً ما يطرح فيها الوهراني [الكاتب– السّارد] أسئلة ومواقف تكشف عن بعض المقاصد الضمنية. غير أنَّ السّارد يريد بسخريته من هذه المظاهر تهذيب الأخلاق بواسطة الذم والاستخفاف. إنَّ مقصد هذه الأخبار الّتي يوردها المؤلف السُّمو بالمتلقي حتى يصير إنسانا صالحاً في المجتمع.

ب– المعرفة العقلية سبيل إلى الإيمان:

من الصعب فصل المشاهد السّردية في المنام الكبير عن الغرض الأساس الذي قصد إليه الوهراني في تأليفه؛ إنَّه السُّؤال العقائدي الذي حمله على سرد حكايات، تصوّر عجائب وتصرفات مخلوقاته[42] من الشخصيات الدالة على الانحراف والظلال والغرق في الشهوات، وغيرها من مظاهر السلوك العجيب الذي حيّر الوهراني، وجعله يأخذ من النوم مطية لولوج العالم الآخر؛ العالم الذي يكون حكماً لهذه التصرفات التي تتناقض مع الطريق الذي رسمه سبحانه وتعالى لأمته، وذلك العالم الّذي رحل إليه الوهراني يمثل فضاءات: [المحشر، الجنة والنار...] التي يدعونا الوهراني إلى تأملها وتبصرها لنكون من المهتدين بواسطة العقل. إنَّ كل علامات الكون دلائل حكمة وآيات تدبير، امتثالاً لقوله عز وجل: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ الأعراف: 145.

قد يتساءل القارئ حول منحى هذا التوجه العقائدي الذي يسلكه الكاتب في مخاطبة الملحدين أو الفرق الدينية الضالة الذين ينكرون وجود الله، أو أنَّه يتوجه إلى الإنسان المسلم مذكراً إياه بطبيعة وجوده وبذلك يختلط البعد العقائدي بالبعد الخلقي ويصبح التذكير العقائدي مقدمة ضرورية لإصلاح الأخلاق المعرضة دوماً للفساد[43]. لنتأمل قوله محدداً الغرض من إخباره عما في الدين من فرق ضالة فهو يصور الشيعة في موقف تهكمي لكونهم يطمعون في رحمة الله، وكذلك يرجون الشرب من حوض[G] النبي، ونيل الشفاعة، يصرح الوهراني لأمير المؤمنين بأنهم " **قوم لا يعيشون إلا من اللصوصية وسرقة الحمير والبقر، إنهم قوم لا يصلحون أن يكونوا إلاّ في البدود والمواخير**"[44]. إنَّ الوهراني بصدد وصف الشيعة، وإعطاء صورة حقيقية عن أفعالهم وعبادتهم الباطلة فهم الذين " زعموا أن القرآن يؤيد رأيهم، ومع أنهم يعظمون القرآن ويطلبون اتباعه، إلاّ أنهم ناقضوا أنفسهم حين خالفوا القرآن بمخالفتهم السنة التي أمر القرآن باتباعها"[45]، إلى جانب وصف الوهراني للشيعة يعمد إلى إيراد كلام بعض الشخصيات الشيعية التي تحاول الرّد على الوهراني من أجل إرضاء يزيد القاضي في قولها " **أما هذا فإنه رجل عليمي، وهو فخذ من كلب بن وبرة[G]، وأما هذا فإنه مغربي [الوهراني] وأضربهم بالسيف(...) ويسمع النبي (ص) فيخرجناَ من ذلك المصير ويجعلنا نروي من الماء ما نبالي، فرآنا أبو القاسم الأعور فقال: ها أنا رايح أهيج عليكم قبائل العراق...يا بقر الشام يا عبيد الطلقاء وصمدنا صمد النخع والهمدانيين فلم يشعروا بنا[G]ونحن وسط الماء سابحين، وأقبلنا نحن نشرب ونستريح وتقول لي أين أنت من ماء الديباج؟ كنت أشتهى الساعة قطعة صابون رقي، وشيئاً من التراب المراغي، أغسل بها لحيتي فإنها قد اتسخت من العرق والغبار فقلتُ لك: ما تحتاج إلى شيء من هذه الساعة تستريح منها فقلت لي: وكيف ذلك: لأنك إن كنت من أهل السعادة فما تدخل الجنة إلاّ أجرد أمرد، وإن كنت من أهل النار فالزبانية يعملون منها فتيلة على باب الجحيم(...) فبينما نحن في أطيب عيش وهناء وإذا بضجة عظيمة قد أقبلت وزعقات متتابعة وأصحابنا يهربون**"[46]. ينطوي

المقصد العقائدي في النهاية على مقصد خلقي: غاية الوهراني إصلاح أخلاق الناس، وتعديل سلوكهم في المجتمع، فالسّارد يورد هذه المشاهد حتى يبث في المجتمع روح التأمل من أجل التدبر في سنة الله عزوجل، فهو يسعى من هذه المقاطع السّردية إلى تبيان عقيدة "الشيعة" وما مصيرها في العالم الآخر. إنَّ هذه الطريقة في النقد التَّهكمي الَّتي يتخذها الوهراني مطية حتى يتخلص من بعض الأمور العقائدية تعد من أرقى الوسائل النثرية في القصص العربي وقد استخدم السّارد المنام [المنامة][G] وسيلة بلاغية لتحقيق هذه الغاية.

فسَّر أدونيس الجدل والمأساة التي يعيشها البطل عامةً بالهروب من " المجتمع الفوضوي إلى الاتحاد بالآخر في العالم الآخر، ففي الواحد جمود وثبات وفي الاتحاد حركة وتنّوع ورأى في الجدل جوهر الإبداع. وجدل الأضداد وصراعها، يُمثّل الواقع العبودي الذي يعيشه الإنسان على الأرض التي لا يجد فيها الإنسان ما يريحه"[(47)]، وما الحلم الذي استثمره الوهراني في منامه حتى يلج به عالم الملكوت الأحد إلاَّ تحررٌ من هذا الواقع المرير الذي شهده من شيخه الحافظ العليمي الذي استفزه والمشارقة[G]الذين لم يجد عندهم فرصة للعمل ككاتب في دواوينهم، لذلك قرر التَّحليق في السماء بخياله الأسمى، وتجاوز التَّضاد بأرقى الوسائل البلاغية–بوصفه اتحادا–، بما يمثل من أمان وسلام وطمأنينة ودوام.

إنَّ اللُّغة السّردية الَّتي يتخللها المنام تحوي خصائص بلاغية متنوعة، وتشكّل وسيلة من وسائل البلاغة لكون البلاغة" اسمٌ جامعٌ لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون سجعاً وخُطباً، ومنها ما يكون رسائل والإيجاز هو البلاغة"[(48)]. وتبقى بلاغة السّخرية في المنام رمزًا ثقافيًا وأداة بلاغية لا تنفصل عن الرسالة الخلقية الواردة في المنام.

جـ– تثقيف القارئ:

يعثر القارئ في بعض مقاطع النص على السؤال التعليمي(هل تعرف؟) الَّذي يجعل هذه النصوص جزءاً لا ينفصل في تكوينه عن نسيج " **المنام الكبير**" ذي الغرضين العلمي والتعليمي؛ فهو نص أدبي يقدم– أولاً وقبل كل شيء– المعرفة عن العالم الآخر، ويسعى إلى تثقيف القارئ، وتثبيت عقيدته قبل أن يروم إلى تسليته ببعض المقاطع السّاخرة.

إنَّ العديد من المشاهد السَّردية في المنام جاءَت " في سياق الإجابة عن سؤال تثقيفي عام من نمط هل تعلم؟ وهل تعرف؟ حيث تتحدد بلاغتها في بعديها التعليمي والتثقيفي؛ أي باعتبارها حجة على معلومة أو ظاهرة، وفي هذا الإطار تندرج مجموعة من النصوص التي يمكن تصنيفها –وفق رأي محمد مشبال– في "ما يسمى بـ"الحكاية النادرة التعليلية" التي تحمل في طياتها: الملح – الطرافة– النوادر– الأخبار"[(49)]. وهي حكاية تُروى لتعليل ظاهرة تتعلق بعالم الغيب، أو تفسيرها، وتأتي غالباً إجابة عن تساؤل يطرح حول مصير الإنسان العاصي مصيره وشكله أمام الله عزوجل، طريقة اجتياز مراحل العذاب، وقد سبق إلى هذا التساؤل ابن شُهيد الأندلسي[G] في رسالة التوابع والزوابع[G] التي لا تختلف كثيراً عن هذا الشكل النثري(السّردي) الذي صاغه الوهراني في المنام الكبير.

وميزة هذه النصوص السّردية "إخبارية، وتعليمية خالصة، يسهل اختزالها في سؤال وحيد، ولا تفسح مجالاً للتأويل أو تعدد الأسئلة، مما يجعلها أقرب إلى ملفوظات الأقوال الَّتي ترد على سبيل المثال التَّوضيحي أو الحجة على صحة الفكرة أو بطلانها"[(50)]. وقد كان الوهراني حريصا على الاحتجاج بالشَّواهد متباينة المصادر لما يعرضه من أفكار.

في المقطع الذي سنورده إخباراً عن شخصية مثقفة[فلكية]، يطلب الوهراني وصديقه [الحافظ العليمي] منها مساعدة لنيل شفاعة الرسول[ص] يصرح بذلك في قوله: "**وأقبلنا نحن نبحث عن بطلميوس الحكيم**[G]**، إلى أن وجدناه قائماً مع جماعة من علماء اليونان يسألونه، هل صح أن الكواكب المتحيرة طبائع أم لا، وهل قام له الدليل والبرهان على طول الكواكب وعروضها، أم لا؟ فلما رآنا قطع الكلام، والتفت إلينا، فسلمنا عليه وقلنا له: يا سيدنا عسى أن تتفضل علينا وتمشي معنا ساعة، تشهد لنا عند أمير المؤمنين بالبراءة مما قذفنا به عنده من النصب والانحراف عن أولاد فاطمة عليهم السلام، فقال: أنا والله في هذا الموقف مشغول بنفسي وعلى أن شهادتي ما تنفعكم عنده لأني رميتُ في مجلسه بالفلسفة والعمل بأحكام النجوم وقد أضر بي ذلك عنده وذوى وجهه عني. وأنا من ذلك على خطر عظيم، ثم انصرف فبقينا بعده حائرين**"[(51)].

من هذا الخبر الذي أورده الوهراني لإثبات فكرة الخوض في المسائل الفلسفية الغيبية حجة قاطعة يفهم منها القارئ مصير هؤلاء في العالم الآخر والسّارد عمد إلى إيراد هذا الوصف حتى يعطي للقارئ صورة تثقيفية يأخذ منها القارئ مفهوماً جديداً عن مصير الفلاسفة الذين يخرجون من الإطار المعرفي إلى ما يسمى بالزندقة، والشخصية الفلسفية في هذا المقطع الأخير تنفي عدم قدرة مساعدتها للوهراني وصديقه، وتصرح للسارد بأنَّها في أزمة لكونها كانت تخوض في ما لا يرضي الله عز وجل، ويضاف إلى الرَّصيد المعرفي الَّذي يملكه القارئ بأنَّ الشفاعة الّتي يتمناها كل مؤمن لن تكون بشخصية فلسفية أو أدبية، وإنّما ستكون بإذن محمد (ص).

ومن المسائل الأخرى المبثوثة في المقاطع السّردية الّتي وردت على سبيل التَّمثيل لفكرة علمية وإثباتها بشكل محسوس، الخبر الذي يحاول السّارد إيصاله إلى ذهن المتلقي، إذ يورد أسئلة تتناول "**مسألة طول الكواكب وعرضها**"، ويبحث عن ما إذا كانت هذه المسألة محسومة أم بقيت محل نقاش وهذا ما جعله يجعل هذه الأحداث والوقائع تعرض عل مسرح العالم الآخر. وهو الأمر الذي يعني أنَّ الخبر شكَّل إجابة عن سؤال يُفترض أن يثيره المتلقي بعد معرفته بالفكرة المعروضة عليه، فالخبر ليس إلا حجة للإجابة عن سؤال المتلقي: كيف هي الكواكب؟ وهل قام الدليل على طولها وعرضها؟ وما صحة هذا القول؟. وقد تساق " الأخبار لإبطال دعوى أو فكرة شائعة"[(52)]، كالخبر الَّذي أريد به نفي أن تكون الكواكب طويلة أم عريضة، والخبر الثَّاني الذي أريد به نفي مساعدة العلماء أو الفلاسفة للإنسان حين يكون بين أيدي الله عزوجل.

وعلى الرغم من أنَّ هناك نصوصًا في "المنام الكبير" تفسح المجال للتَّأويل، وتعدد الأسئلة، إلا أنَّها لا تختلف عن النُّصوص السابقة في احتجاجها للظواهر، والمسائل المعروضة للتفسير، وإجابتها عن سؤال: هل تعلم؟"، وخبر الحجاج بن يوسف الثقفي بصرف النظر مؤقتا عن التَّأويلات الّتي يمكن أن تفيض عنه، يقدم مثالاً حكائيًا عن ظاهرة الغفران التي حيرت الكثير، ويتمثل في المقطع الذي يورده " **فسألنا بعض الحاضرين عن ذلك الفرح...كون الباري جلت قدرته غفر اليوم للحجاج، فما عسى أن تكون ذنوب الحجاج وأصحابه**[G]**إلاّ كالشعرة البيضاء في الثوب الأسود**"[(53)]. في هذا المقطع إجابة يبحث عنها القارئ، تتعلق بمصير قتلة الصحابة، والناس الأبرياء، وكذلك مصير إبليس الذي يورده في قوله:" **أبو مرة إبليس فجار الخلائق ينجو من العقاب؟** "[(54)]. هنا يتعجب القارئ من أسئلة الوهراني التي يوردها كلمح البصر معتمداً على بعض الأساليب البلاغية، كالاستطراد[(55)] ليقفز مرة أخرى إلى قضية أخرى تختلف عن سابقها. غاية هذا الخبر السّردي هي النَّيل من هؤلاء الطَّامعين في رحمة الله بالسّخرية والاستخفاف الذي لا يكاد المنام الكبير يخلو منه، وقد لا نستطيع فصل الغاية التعليمية عن

الغايات العقدية والخلقية والحكمية في هذا الاعتراف. ولكننا لا نستطيع أن ننكر على الوهراني في هذا الاعتراف غايته التثقيفية والمعرفية، وتقديم مثال توضيحي لظاهرة الطمع في قضية الغفران.

والحق أنَّ بعض المشاهد السّردية في كتاب "المنام الكبير" ليست سوى أمثلة حكائية ممتعة عن الأفكار الّتي يقدمها الوهراني بشكل تقريري قبل أن يستشهد بها، وكأنَّه يرى في الأخبار حججا، ووسيلة تثقيفية، يتواصل بها مع عموم القراء، بأقرب الطرق وألصقها بنفوسهم النَّي يسرع إليها الملل، كما كان يردد دائما[56]. وقد ساق حديثًا عن بعض الشَّخصيات الّتي خَرَتْ على ساقيها بعد سماع انشقاق السماء ويمثل ذلك بقوله: " **فقلتُ: وأين أجده؟ فقال: هذا هو واقف مع النبيه الموصلي يمسح أفخاذه من البول فقلتُ وأي شيء أصاب التوينة المسكين؟. فقال إنّه لما سمع انشقاق السّماء الدنيا خرى**[G] **على ساقاته**"[57]. وعلى الرغم من الأهمية النَّي حظي بها التصوير في نص المنام الكبير،" إلاّ أنَّه لا يخلو من موقف سردي يوجه النَّص في اتجاهات أخرى غير الاتجاه إلى الإجابة عن المقاصد الضمنية في الفقرة التقريرية، والذي صرح به السّارد في الخبر مفاده"[58] هل يمكن للإنسان أن يسمع انشقاق السّماء ولا يفزع؟، وإن كان هناك فزع فما نوعه؟ هل هو الخرى على السّاقين أم هو البول على السّاقين؟. إنَّ هذه السّخرية المثيرة للضحك أحياناً، والتساؤل أحياناً أخرى تجعل القارئ في بحث مستمر عن المعنى الضمني المتستر، والاستشهاد الذي لا يكاد يخلو من السّخرية. والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن الله عزوجل قد مثل انشقاق السماء في قوله: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ الرحمن: 37.

وعلى الرغم من أن هذا الخبر تهيمن عليه الوظيفة التعليمية بدقة ووضوح، حيث وجهه السّارد إلى إثبات ظاهرة اجتماعية سبق أن قررها ابن شهيد الأندلسي في رسالة التَّوابع والزوابع، وهي قضية الطمع في رحمة الله والنّجاة من النار.

د. متعة الهزل:

لم تختف الوظيفة الإمتاعية عن ذهن الوهراني الذي ظل يذكّر القارئ بأهميتها البالغة في كتابه، ممَّا يعني أنَّ المقصد الجمالي شكل أحد الأسئلة الّتي أسهمت في صياغة هذه النُّصوص السّردية. والمقصود بهذه الوظيفة، المتعة الوجدانية والنفسية التي يستشعرها قارئ أخبار طريفة وعجيبة تثير في نفسه الضحك والاستغراب. وهي وظيفة لا تفارق المجال التَّداولي الذي تتحرك فيه المقاصد السابقةحتى وإن ظلّت هذه الوظيفة في إطار الشُّعور الذي لا يراد به التَّحفيز على الفعل. الوهراني يؤمن أن حاجة الإنسان إلى المتعة واللذة وإلى كل ما أجذل النفوس تعادل حاجته إلى الجد حتى ولو كانت متعة سخيفة، مادام الحق يثقل ولا يخفُّ إلا ببعض الباطل؛ فما بالك بمتعة يلتبس فيها الجد بالهزل، أو الموعظة باللّهو، أو العلم بالظرف، أو بتعبير آخر متعة يتداخل فيها التصوير والحجاج[59]، فكيف لا والسّخرية حجة غير مباشرة، فأينما تكون السّخرية فإن هناك ضرورة للحجاج. فهي ليست تعبيراً عن رأي شخص، ولا هي تحريك للعواطف وإثارة المتعة بقدر ما هي استراتيجية يتخذها المرسل للإقناع، وهذا المرمى إحدى وظائف الحجاج. "وقد بينت أريكيوني أن السّخرية مجاز المجازات، وللمجاز تأثير بالغ في الخطاب الحجاجي، وهو أعلى درجات الحجاج"[60]. كما لم يفصل الوهراني نفسه بين كثير من المتناقضات التي انصهرت في منامه وفق ما أطلعنا عليه، فهو وعاء ملئ سخرية وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت عجبت من غرائب طرائفه؛ يكفي أن يتأمل القارئ عنوان الكتاب الأصلي الموجود على الصفحة الأولى من المخطوط الذي يحمل اسم " **كتاب جليس كل ظريف**[G]" ليفهم أن السّخرية والدعابة هي دعامة هذا الكتاب وسلاح الوهراني الوحيد لكون السخرية " أداة لتغيير الواقع حين تنحرف القيم، ويسود الزيف تهدف إلى الحفاظ على قيم المجتمع،

وتكريس السلوك القويم، وتعديل مجرى اتجاه متطرف"[61]. اتخذها الوهراني أداة للتعمق في الأشياء ومعالجة عيوب المجتمع والأفراد.

ولاشك أن هذا الانصهار بين المتناقضات التي يتسم بها كتاب " المنام الكبير" باعتباره نصا موسوعياً شاملاً لكل أفانين الخطاب، من نوادر وأخبار وأمثال وأشعار وأقوال مأثورة ونقد وبلاغة ومناظرات ولضروب شتى من المقاصد والغايات والموضوعات. كان الغرض منه تحقيق التوازن الّذي تقتضيه حاجة "المنام" إلى التّواصل مع عموم القراء وما يفرضه هؤلاء من معايير التلقي، فهم ليسوا ممن تجرَّد للعلم وأدرك جوهره، بحيث يكونون أقوياء على احتمال صعوبة الجد. لأجل ذلك وجب على الوهراني أن يراعي هذا المعيار في صياغة منامه إذا أراد أن يتواصل مع فئة واسعة من القراء. ولعل أنسب وسيلة لتحقيق ذلك، أن يبث في منامه نصوصاً هزلية، وربما أيضا سخيفة أو ماجنة. وقد تكون هذه النُّصوص عديمة القيمة في ذاتها، إلاّ أنَّه يطلب منا ألا نفصلها عن بنية "المنام" الذي وضعت فيه، أو بتعبير آخر، إنَّه يطالبنا بأن نقدرها في سياق خدمتها في توصيل المضامين الجادة[62] "للمنام". ألم يقل عنه بأنَّه "كتاب ظريف"، وأثنى عليه ابن خلكان وقال: إنَّه كتاب الدعابة والمزاح" فكيف يجوز للقارئ العام أن يحتمل هذا المضمون الجاد من دون وسيلة لذيذة تحببه إليه؛ أي من دون نوادر وأخبار هزلية وماجنة وغريبة، يوردها المؤلف بين ثنايا نصوصه الجادة حتى يفلح في توصيلها إليه؟.

هنا يكتسب الهزل قيمته عندما ندرك أنَّه وسيلة نافعة، وأداة لخدمة غرض جاد ينبغي أن ننظر إليه في وظيفته البلاغية الجمالية، وليس في مضمونه أو محتواه؛ إنا علينا أن ندرك معنى الهزل وغوره، وعلة استخدامه، وفي هذه الحال سندرك ضرورته وأنَّه ليس في النهاية سوى الجد نفسه مادام كان علة له"[63]، وفي الخطاب" الفكاهي تفقد الفصاحة والجزالة كل ما تحوزانه، واستخدامه لنمط من الحكي العاري ولكنّه عري شبيه باللبس، ذلك أنه يمتلك وسائله الخاصة التي تنسج بلاغته"[64]. وعلى الرغم من أن مجمل حديث الوهراني عن الهزل، ووظيفته انصب هنا على كتابه الذي جمع فيه المقامات والرسائل والمنام الكبير، إلاّ أنّنا لا نستطيع أن نفصل هذا الحديث عن التّكوين البلاغي لنصوصه السّردية الّتي لاذت في معظمها بالهزل في توصيل رسائلها، وهو ما يعني أن الوهراني كان يرى في التصوير والسّرد والهزل والغرابة مقومات ضرورية في التواصل[65].

إنَّ التَّمثيل السَّردي في أخبار الوهراني وحكاياته الطريفة يفسح أيضا المجال للقارئ لاستجلاء ما يمكن أن يوحي به من دلالات زائدة عن الدَّلالة الصريحة. وعلى الرغم من أهمية التلقي التَّداولي لنصوص الوهراني السّردية، إلاّ أنَّ هذا لا يعني بأنّها لا يمكنها أن تستجيب لتلق آخر لا يعمد في المقام الأول إلى تأويل مقاصدها وتحديد وظائفها وبيان حججها، أو وضعها في سياق تواصلي ملموس، بل يعمد إلى تلقيها في ضوء مفاهيم بلاغة التصوير التي تمنح الأولوية للسّياق الداخلي للنّص ليس من حيث هو بناء مغلق على ذاته ولكن من حيث هو تكوين غير منفصل عن متلق يسعى إلى ربط النص بمقدرته التأويلية والتخييلية، ونحن نسعى إلى إثبات أنَّ الخبر عند الوهراني ينطلق من المقام التواصلي المحسوس، ليصوغ عالمه التخييلي الأدبي، وإن ظلَّ يتحرك في دائرة التَّواصل البلاغي الحجاجي لا يملك تجاوزها بالقدر الّذي يجعلنا نسلّم فعليا بوجود مسافة بين المعنى الذي يولده المتلقي وبين رسالته الصريحة[66].

إنَّ الأخبار التي تنتمي إليها النصوص السّردية المذكورة، نوع أدبي خطابي شأنه في هذا شأن معظم أجناس الأدب الفكاهي وأنواعه، وإذا كان إخضاعها للتحليل – الذي اقتصرنا عليه هنا– أمراً بديهياً يستجيب لطبيعتها البلاغية المنسجمة مع أفقها الثقافي القديم، فإنَّ تلقيها البلاغي التَّخييلي ليس أمراً مفروضاً يمليه الأفق الجمالي

المعاصر، والحساسية الأدبية الحديثة وفي نصوص الوهراني من الأدبية ما يجعل القارئ يتفاعل معها بمفهومات بلاغة التخييل أو التصوير[67].

وإذا أردنا تبيان وظائف "المقاصد الإخبارية" في المنام الكبير، يمكننا الحديث عن بعض الوظائف التي نراها مناسبة.

الوظيفة اللاشعورية،[G] يمثل الحلم البؤرة الأساسية لانبثاق النَّص السَّردي عند ركن الدين الوهراني وتصدر السخرية " في ضوء التصور الفرويدي عن آلية نفسية دفاعية في مواجهة العالم الخارجي المهدد باللّذات. وتقوم هذه الآلية الدفاعية على أساس تحويل حالة الضيق أو عدم الشعور بالمتعة إلى حالة من الشعور الخاص بالمتعة أو اللذة"[68]، وغالباً ما يتم كبت هذه الدوافع في مواقف الحياة العادية اليومية لكن في الحلم يكون التعبير غير واقعي ومن ثم فهو غير مهدد؛ إنَّه " بمثابة اللعب العقلي، ومن ثم يتم تبديد هذه الطاقة الفائضة وتنشأ متعة السّخرية بهذا المعنى المحدد عندما تجد ملجأ للتنفيس والتفريغ ومن ثم يتحول الإدراك المصحوب بالتَّوجس أو الخوف إلى إدراك مبهج يحدث الضحك"[69].

من خلال هذا التقديم تتبين وظيفة الحلم الذي استطاع من خلاله السارد، كما رأينا سابقاً أنْ يتنفس ويفرغ ما في نفسه، عكس الواقع الذي كان بمثابة سجن يجعل السّارد مقيدا من كل النواحي، ولهذا يمكن القول بأنَّ للحلم وظيفة في البناء السَّردي السّاخر الَّذي عمد الوهراني إليه، لكون هذا الأخير مشردا، وبعيدا عن كل ما تجلبه السعادة بالإضافة إلى حقد شيخه عليه لذلك استطاع السّارد أن يتخلص من كل المحن الَّتي كانت تراوده في عالمه الواقعي محاولاً تخطي كل الحواجز التي سرعان ما تتلاشى في عالم النَّوم، الذي صنع منه السّارد رحلة خيالية تكون بديلاً عن حالة السَّارد الواقعية.

غياب الانفعال أو الشعور العاطفي؛ الخصم الأعظم للسِّخرية " هو الانفعال، وحتى يحدث المضحك ما يحدثه من تأثير لابَّد أن يتوقف القلب برهة عن الشُّعور، بحيث ننسى المحبة ونسكت بضع لحظات"[70]. يتكئ السَّارد في بنائه لنص المنام الكبير على هذه الوظيفة من بداية السَّرد إلى نهايته وكيف لا والسّارد يعمد إلى هجاء خازن جهنم وهو في عرصات يوم القيامة، بالإضافة إلى ذلك نجد وظيفة غياب الشَّفقة تجاه الجانب الديني، لما في المنام من ألفاظ مشينة وبذيئة. وهذا ما أعطى للسَّخرية مجراها الطَّبيعي فالسّارد استطاع صنع اللامبالاة من خلال تجرده من كل العواطف التي قد تعرقل سخريته الَّتي لم يسلم منها أحد (الملائكة– الشيعة – إبليس– صديقه...إلخ).

يحيل الخطاب السّاخر إلى المرسل والمجتمع الذي يعيش فيه الوهراني بالدرجة الأولى لذا عمدنا إلى كشف شخصية الوهراني، وحاولنا معرفة مقاصده من خطابه وعلاقته ببيئته الاجتماعية والدينية والثقافية.

يتلقى القارئ علومه ومعارفه المختلفة، ليتمكن بعد ذلك من توظيفها في فهم النص وتفسيره، وذلك بربط النَّص بسياقه المحيط، ومحاولة فهم آثار المتكلم من خلال قرائن لغوية مبثوثة في الأبنية السطحية للنَّص.

أكدت الدراسة دور السياق والقارئ في تحليل النَّص بوصفهما عنصرين فعالين يشاركان في إنتاج النص، وفي إضفاء المعنى عليه. ويبدو جلياً من خلال وظيفة السياق التي تساهم في تحقيق نصية النص، فغيابه –السياق– يفقد النص نصيته (لا نص). وأمَّا دور السياق فيتمثل في إضفاء المعنى وفق السياق الذي يرد فيه.

وتبين لنا من خلال نص المنام الكبير أنَّ الوهراني يطلق صرخة احتجاج يعلن فيها ما بلغه المجتمع العربي من فساد، وقد انتشر الانحلال الخلقي والتظاهر بالمظاهر الفاسدة، وهو حريص على معالجة الضعف في المجتمع عن طريق السخرية باعتبارها وسيلة تأديبية.

السّخرية صورة بلاغية في غاية التَّعقيد، لها دلالات ومعان جد ثرية، تتيح مجال البحث لمناهج مختلفة في كل ميادين المعرفة البشرية، ورأينا ضرورة استثمار التداولية لتكشف لنا عن بعض زوايا السخرية، انطلاقاً من استحضار السياق بعناصره المكونة له، والتي تسهم في إنتاج وتأويل مقاصد الخطاب الساخر. وتبين لنا من خلال معالجة مقاصد المنام الكبير عند الوهراني أنَّ فهم واستيعاب المقاصد يستوعب استحضار السياق الذي أنتجت فيه، وفهمها لا يمكن أن يتم بمعزل عن ظروف كتابتها واشتغالها.

تنوعت أشكال الحجاج السّردي في "المنام الكبير" بين أشكال نصية صريحة واضحة البنية الخطية، وبين أشكال أخرى غير مباشرة أحدث الوهراني عليها تحويرات بالحذف أو التبديل والتغيير.

تبوأ النص الديني في "منامات الوهراني" مكانة متميزة، باعتباره مجالاً فعالاً للتواصل ومن أهم وأضخم النصوص المعرفية في النتاج الأدبي العربي، والذي استغل كثيراً في إثراء النصوص الأدبية.

اعتمد الوهراني على الموروث الثّقافي الأدبي فقد وجدنا رسالة الغفران ومقامات الهمداني، ورسائل الجاحظ حاضرة حضوراً مميزاً في مختلف نصوصه بحيث يبدو النَّص الغائب كأنه جزء من بنية النص الماثل.

من خلال قراءة المنام الكبير يبدو أنَّ الكاتب باحثٌ عن قارئ مثالي، يفوقنا معرفة، من خلال بعض تصريحاته في ثنايا الكتاب.

الهوامش:

*– توضيح: من الضرورة التفريق بين القصص الأدبي الخيالي و القصص الديني الوعظي، لذلك نجد: القصص القرآني: لا كذب فيه ولا افتراء، ولا مجال فيه للخيال أو الوهم لأنّه من كلام الحكيم الخبير: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، سورة البقرة : آية 252، ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. سورة القصص: آية 3. والحقيقة التى لا ريب فيها أن القصة في القرآن الكريم بنيت بناء محكماً على الحقائق الثابتة الخالصة من زخرف القول وباطله ونسج الخيال. وأسست على الحق والصدق والواقع. ولم يكن للخيال أو الوهم أو المبالغة مدخل إليها. قال تعالي: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، سورة آل عمران: آية 62..فهو قصة وقعت في غابر الأزمان بأشخاصها وأحداثها وزمانها ومكانها وملابساتها ثم يأتي القرآن الكريم فيقصها أحسن القصص: أسلوبا محكماً، وعرضا معجزاً، وحقا ثابتا. أماالقصص الأدبي الخيالي، فهو من القصص البشري، يحكي واقعاً، ويصور حقائق ثبت وجودها، ومنه ما هو نسج خيال مؤلفه. حيث يخلق المؤلف عالما خياليا أو كونا ذا طبيعة جديدة بالاستعانة بتقنيات أدبية متضمنة، تضرب جذوره من عهد المسعودي ومروج الذهب ومعادن الجوهر، وقصص الاسكندر الذي سعى إلى اكتشاف قاع البحر .القزويني وعوج بن عنفق الذي جاء من كوكب آخر وشرح قضية الحياة على الكواكب الأخرى، والفارابي ومدينته الفاضلة، ويبقى تعبيرا إنسانيا يعبر عن رغبة الإنسان في ارتياد المجهول والبحث عن مغامرات جديدة. ينظر: محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي فى القرآن الكريم، د، ط، مكتبة الأنجلو المصرية، د، ت ص 45. ينظر كذلك: أمين محمد عطية باشا، الصدق والواقعية في القصة القرآنية، د. ب، د. ط، د، ت، ص 15.

*– قد يتساءل القارئ، حول مصير منامات الوهراني التي لم يسلم منها إلاّ "**المنام الكبير**". وهو الجزء الذي عُثر عليه، وقد صرح محقق كتاب الوهراني أنّ معظم منامات الوهراني ضاعت وتلاشت بين أيدي القراء. وقد صرح كذلك ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان، بأنّ المنام الكبير هو الشيء الوحيد الذي بقي من منامات الوهراني.

1- O.Dccrot: Dire et ne pas dire, Hermann, Paris, 1980, p 200.
2- Ibid**,** p 204.
3- Ibid, p 133.

4- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، د.ط، دار النهضة، بيروت، 1985، ص 37.

5- م، ن، ص 50.

6- محمد مشبال، البلاغة والسرد، جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان–المغرب، 2010، ص 48.

7- ينظر: طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، سلسلة من الدروس الافتتاحية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، د.ت، ص 7.

8- ينظر: محمد مشبال، م، س، ص 48.

9- منامات، ص 26.

10- م، ن، ص 30.

11- ينظر: محمد مشبال، م، س، ص 49.

12- O.Dccrot: Dire et ne pas dire, p 204.

13- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتجية الخطاب، استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت– لبنان، 2003، ص 226–227.

14- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية، معرفية لآلية التواصل والحجاج، ط1، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 134.

15- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ط1، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص 218.

16- منامات، ص 56.

17- ينظر: محمد مشبال، م، س، ص 49.

18- امبرطو إيكو، الأثر المفتوح، تر: عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار، سوريا، دمشق، 2001، ص 17.

19- محمد مشبال، م، س، ص 49، 50.

20– ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، مراجعة: حياة شرارة، ط1، دار توبقال للنشر الدار البيضاء المغرب، 1986. ص 267، 311.

21- محمد مشبال، البلاغة والسرد، ص 50.

22- م، ن، ص ن.

23- منامات، ص 26، 37.

*– خازن النار يقال له[مالك]، وهو المقدم على الخزنة الموكلين بها لقوله عزوجل:[وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ{ 77} لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ { 78}]. الزخرف: 77، 78. ينظر: محمد كامل الحسن المحامي، الملائكة، د.ط، المكتبة العالمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ص 31.

24- منامات، ص 26.

25- محمد مشبال، م، س، ص 50.

26- ينظر: م، ن، ص ن.

27- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا للشرق، الدار البيضاء، 2005، ص 98–99.

28- محمد مشبال، م، س، ص 50–51.

29- ينظر: م، ن، ص 51.

30- حامد عبده الهوّال، السّخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية للكتاب، 1993، ص 30.

31- منامات، ص 48.

32- هانس غيور غادمير، فلسفة التأويل، تر: محمد شوقي الزين – منشورات الاختلاف، الجزائر، 2006، ص 25.

33- منامات، م، س، الصفحة الأولى من الكتاب ، يرمز لها المحقق بالحرف، ص.

34- عثمان شبوب الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مرة كل شهرين السنة الثالثة، العدد 12، جانفي – فيفري، 1973، ص 32.

35- آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم(علم جديد للتواصل)، تر: سيف الدين دغفوس، محمّد الشيباني المنظمة العربية للترجمة، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2003، ص 181– 182.

36- ينظر: محمد مشبال، البلاغة والسرد، ص 52.

37- ينظر:آن روبول، م، س، ص 180.

38- م، ن، ص 180.

*– لقد اعتمدنا على مفاتيح تتمثل في: (بناء الأخلاق في المجتمع– المعرفة العقلية سبيل إلى الإيمان– تثقيف القارئ– متعة الهزل)، بنى عليها محمد مشبال مقاصد الخبر السردي في نصوص الجاحظ الهزلية، ولكون المنام الكبير يندرج ضمن السرد الساخر، عمدنا إلى اتخاذها كمفاتيح للولوج إلى مقاصد الخبر السردي في المنام الكبير. ينظر: محمد مشبال م، س، 52 – 60.

39- ينظر: مديحة عتيق، أسطورة العالم الآخرفي الشعر الحديث والمعاصر، دراسة موضوعاتية، دار ميم للنشر الجزائر، 2010، ص 92، 93.

40- منامات، ص 25.

41- م، ن، ص 51.

42- م، ن، ص 47.

43- ينظر: محمد مشبال، م، س ، ص 53.

44- ينظر: م، ن، ص ن.

*– نهر في الجنة ترد عليه أمة رسولنا الكريم [ص] يدعى "الكوثر"، وهو المذكور في سورة الكوثر في قوله:{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ{1} فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ{2}إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ{3}. الكوثر: 1، 3، وفي صفة هذا النهر– الحوض– قال أنس:" أغفى رسول الله إغفاءة فرفع رأسه مبتسماً فقال له: يا رسول الله لم ضحكت؟ فقال:" آيةُ أنزلت علي آنفاً" وقرأ: " بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر". حتى ختمها ثم قال:" هل تدرون ما الكوثر؟" قالوا الله ورسوله أعلم؟ قال:" " إنه نهر وعدنيه ربي عزوجل في الجنة عليه خيرٌ كثيرٌ عليه حوض ترِدُ إليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم في السماء". ينظر: البخاري أبو عبد الله، صحيح البخاري، د.ط، دار الشهاب، الجزائر، 1991، ج 19، ص 463.

45- ابن تيمية، الفرقان بين الحق والباطل، د.ط مكتبة النهضة الجزائرية، د.ت، ص 15.

46- منامات، ص 57– 60.

*– توضيح: عبارة خذ بن كلب بن وبرة، وردت في الهامش، والمراد منها: جد جاهلي من قضاعة وقبيلة كلب بن وبرة من أهم قبائل العرب في سوريا في عهد الهجرة نالوا المناصب في الإدارة والبلاط والجيش في عهد معاوية الأول. ينظر: منامات الوهراني، الهامش، ص 57.

*– فلم يشعروا بنا: يقصد بأن الشيعة حين طاردت الوهراني وشيخه الحافظ العليمي لم يشعروا بهم لكونهم كانوا وسط الماء سابحين.

47- وضحى يونس، القضايا النثرية في الأدب الصوفي، حتى القرن السابع الهجري، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2006، ص 80.

*– قد يبحث القارئ عن علاقة المنامة بالمقامة، والواقع أن الدارسين يفرقون بين المنامة والمقامة، فالأولى غالباً ما يكون أشخاصها ممن تستحيل رؤيتهم وممن وجدوا في التاريخ كالصحابة، الملائكة مثلاً. أما المقامة فإنها مستقاة من واقع الحياة ومن واقع العصر الذي عاش فيه المؤلف وصور بعض النماذج التي عاشرها أو استوحاها من بيئته. ينظر: عثمان شبوب الأصالة مجلة ثقافية، ص 32.

*– لقد عبر الوهراني عن ذلك مستاءً: "الدولة المصرية عجوز محتالة وطفلة مختالة"، ينظر: منامات، ص 4.

48- أبو عثمان عمرو بن بحر، الجاحظ، البيان والتبيين، محمد هارون، ط1، مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر– القاهرة، 1949، ص 115–116.

49- محمد مشبال، البلاغة والسرد، ص 56.

*– هو عامر بن أبي مروان عبد الملك بن أحمد عبد الملك بن شهيد ثم من أشجع، ينحدر من سلالة الوضاح بن زراج الذي كان مع الضحك يوم المرج، ولد سنة 382هـ، ينظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1969، ص 272.

*– يقول أحد الباحثين في رسالة التوابع والزوابع:" يختلط فيها الضحك بالشعر، والنثر، ويتداخل عالم الإنس بعالم الجن والشياطين، وترفع حواجز الزمان والمكان ويلتقي القديم بالحديث، ويتعانق المشرق بالمغرب". رياض قزيحة، الفكاهة في الأدب الأندلسي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1998، ص 315.

50- محمد مشبال، م، س، ص 56.

*– رياضي فلكي ولد في القرن الثاني للميلاد، صاحب النظرية البطليموسية في هيئة الأفلاك القائلة بأن الأرض لا تتحرك وأن الفلك يدور حولها، ينظر: منامات، (الهامش) ص 50.

51- منامات ، ص 51.

52- محمد مشبال، م، س، ص 57.

*– أصحابه هم الشخصيات الأخرى التي يخبرنا الوهراني بأنّها نالت الغفران، وهي: عبد الرحمن بن ملجم الإرادي قاتل علي بن أبي طالب، والشمر بن ذي الجوش الضبابي من كبار قتلة الحسين ، وكذلك ابن مرة الذي يمثل إبليس كل هذه الشخصيات يخبرنا الوهراني بأنها نالت الغفران. ينظر: منامات، ص 36.

53- م، ن، ص 37.

54- م، ن، ص 36.

55- الاستطراد: هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى آخر، لمناسبة بينهما ثم يرجع إلى إتمام الأول. فنٌّ من فنون البديع، ورَد ذكرُه رُكنًا ركينًا من أركان علم البديع عند قدامى علماء البلاغة المعروفين؛ مثل: السكاكي، وابن سنان الخفاجي، وعبدالقاهر، والخطيب القزويني، وابن معصوم المدني، والآمدي. ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصميلي ط1، المكتبة العصرية صيدا– بيروت 1999، ص 302.

56- ينظر: محمد مشبال، البلاغة والسّرد، ص 58.

*– توضيح: "الخرا" أحياناً تكتب خرى أو خره وبالفصحى الخراء: كلمة "خرا" ليس لها علاقة بمدينة خراسان في إيران من قريب أو من بعيد كما يزعم البعض، فاسم مدينة خراسان وكلمة "خرا" جاءا من مصدرين مختلفين تماماً. مصطلح خرا مصدره خرأ, وهو التخلي والقعود للحاجة. فصل علماء اللغة العرب في أسماء الخراء، فإن كان صاحبها إنسان سموها خراء أما خراء الدابة فسموه روث، وهناك بعر البعير، وثلط الفيل، وخثي البقرة، وجعفر السبع، وذرق الطائر، وسلح الحبارى، وصموم النعام، ونيم الذباب، وقزح الحية، وجيهبوق الفأر، وعقي الصبي، وردج المهر، أو الجحش وكل هذه أسماء. يمكن أن نجد كلمة الخرا في أقدم معاجم اللغة العربية كلسان العرب لابن منظور، و القاموس المحيط للفيروز أبادي. لم تكن كلمة الخرا تحمل في التاريخ القديم المعاني السّلبية والبذاءة التي تتحملها الكلمة ذاتها في عصرنا هذا. وإنما كانت تستخدم للتعبير الصريح عن المادة الإخراجية الآدمية عموماً. لكن كلمة الخرا الآن أصبحت تعتبر نابية في معظم المجتمعات، وتستخدم للسباب أو التحقير في معظم الأحيان. تستخدم كلمة الخرا للسّب والهجاء في عدة صيغ. يمكن ملاحظة هذه الكلمة (الخرا) في التراث الديني الإسلامي: وردت هذه الكلمة في هذا الحديث: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية ووكيع عن الأعمش، وحدثنا يحيى بن يحيى واللفظ له، أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد عن سلمان، قال: قيل له قد علّمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة. قال فقال أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم. ينظر: د. أسامة فوزي مقالة،رئيس تحرير صحيفة عرب تايمز، موقع: www.google. com .

57- منامات، ص 25.

58- محمد مشبال، م، س، ص 59.

59- ينظر:م، ن، ص 60.

60- العمري آسيا، السّخرية في كتاب الحمقى والمغفلين، مقاربة تداولية، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، رسالة ماجستير، مخطوطة، ب: تيزي وزو2009، 2010، ص 138–139.

*– عنوان مخطوط برسون، وهي النسخة التي اعتمدها المحقق في التحقيق ورمز لها بالرمز[ب]، ينظر: منامات، الصفحة التاسعة من الكتاب والتي أخذت الرمز [ص].

61- العمري آسيا، م، س، ص 139.

62- ينظر: محمد مشبال، م، س، ص 60–61.

63- م، ن، ص 61.

64- محمد، مشبال، بلاغة النادرة، ط2، دار جسور للطباعة والنشر والتوزيع، طنجة– المملكة المغربية، 2001، ص 1819.

65- ينظر: محمد مشبال، م، س، ص 61–62.

66- ينظر: م، ن، ص 62.

67- ينظر: م، ن، ص 62–63.

[G]– ملاحظة: الوظيفة الأولى والثانية اجتهاد خاص فقط ولا أدعي فيه أي إضافة إلى وظائف الراوي المعروفة، وإنّما حاولت أن أبحث عن خصوصية المنام الكبير، ما إذا كان قادراً على تبني هاتين الوظيفتين.

68- شاكر عبد الحميد، وآخران، التراث والتغيير الاجتماعي (الفكاهة وآليات النقد الاجتماعي)، تقارير بحث، www.Kotobarabia.com، ص 42.

69- م، ن، ص 43.

70- م، ن، ص 38.